قاطعاً عليها الطريق، لاسيما وأن السعودية واعية كل الوعي على صراعات المنطقة وما تحملته هي بالذات من جراء حرصها على صداقتها مع واشنطن في وجه حملة عارمة وغضبة جماهيرية عريضة ضد سياسة واشنطن المنحازة «لاسرائيل» منذ أن كانت إسرائيل.

وربما يكون من الحكمة، هنا، أن نتذكر ما سبق وحذّرنا منه، وهو الإسراع باتخاذ المواقف من هذا كله قبل أن تتضح المواقف وتنكشف البواطن. وذلك حتى لا نقع بالمنزلق نفسه الذي وقعنا فيه أثناء الجدل عما سمي «مبادرة أوروبية» لنكتشف في النهاية أن لا مبادرة ولا مبادرون. ولكن هذا لا يعني الدعوة للتفرج، وعدم النقد أو التحليل، على العكس تماماً، علينا أن نفيد من هذا التحرك بالمزيد من الاستطلاع وفرز المواقف والتنويه باستمرار بما هو ثابت من مواقفنا غير القابلة لأي تعديل أو تبديل. ما أشبه هذه التحركات بكرات القدم وهي تنتقل بين اللاعبين من شباك إلى شباك، وعلينا اتقان اللعبة بحماية مرمانا أولاً، وبتسجيل الأهداف على عدونا ثانياً. وهذا يتطلب المشاركة باللعبة، لأنه لا جزاء للمتفرج. وفي هذا الصدد، أسمح لنفسي بتكرار جملة طالما رددتها في اجتماعاتنا داخل المجلسين الوطني والمركزي، وهي أنه لابد لنا من الثقة بالديبلوماسي الفلسطيني ثقتنا بالمقاتل الفلسطيني. كلاهما ثائر، هذا سلاحه المدفع، وذلك سلاحه الكلمة الحقة. لابد لنا من تجاوز هذه العقدة التي لا مبرر لها إطلاقاً حول «النضال السياسي» وكأنه نفق يوصل بالضرورة للاستسلام. وكم من نصر عسكري انتهى بنكسة سياسية، وكم من نكسة عسكرية انتهت بنصر سياسي. وتاريخ أمسنا لا يزال يصرخ من التجربة.

هل يبقى بعد ذلك من ضرورة لتكرار البديهية المعروفة حول ضرورة مواصلة النضال المسلح وتصعيده بهدف خلق وقائع جديدة وحقائق جديدة! إن المناضل السياسي هو أكثر المناضلين تمسكاً بهذه البديهية لأنه أول من يعاني من آثار الخلل في موازين القوى عندما تعكس ظلالها على الساحة السياسية. وليس هناك من يتوهم ان باستطاعته أن ينتزع على الورق ما لا قدرة له على انتزاعه على الأرض.

□ □ □

بعد هذا، هل من شك أننا مقبلون على حرب سابعة! فمتى نستخرج العبر والدروس من مسلسل صراعنا مع العدو لاختزال زمن المعاناة، وحسم هذا الصراع بحرب لا تحمل رقماً وإنما لقب «الأخيرة»؟